الفصل السابع

حكايات تهذيبية

* هذا من فضل الله.
* الغلام الذكى.
* المفاجأة.
* العاصى.
* ابنة الصياد.
* جرة الذهب.
* حق الجار.
* الرزق فى العمل.
* .... وأخرى.

obeikandl.com

obeikandl.com

«هذا من فضل الله»

تنكر أحد الولاة يوماً، وخرج بمفرده ليتفقد أحوال الناس، فأخذ يمر بالأسواق ثم تعب من السير، فذهب إلى شاطئ النهر يستريح بعض الوقت.. وقصد شجرة ليجلس تحت ظلها، فإذا غلام قد جلس لتَوِّه وبيده بعض طعام يهم أن يأكله.

اقترب منه الوالى ـ وهو متنكر ـ وقال له: السلام عليك يا غلام.

فقال الغلام: وعليكم السلام ورحمة الله، يا سيدى..... تفضل الطعام معى.

فقال الوالى: أشكرك يا غلام.. ليس لى رغبة فى الطعام، ولكنى عابر سبيل جلست لأستريح.

ثم جلس.. وفتح الغلام لفافة معه، فإذا بها ثلاثة أرغفة.. ومد يده وتناول رغيفاً منها ليأكله، فأقبل كلب ووقف بالقرب من الغلام... فألقى الغلام له بالرغيف.. فأكله الكلب.. ثم ألقى إليه الغلام برغيف آخر، فأكله الكلب عن آخره، ثم ألقى له بالرغيف الثالث، فأكله الكلب، وهز ذيله للغلام الذى أطعمه.. ثم نزل الغلام إلى النهر فملأ إناء كان معه وسقى الكلب.

فتعجب الوالى مما رأى وقال: يا غلام... هل هذا الكلب لك؟

فقال الغلام: لا .. ياسيدى.

فقال الوالى: ولكنك أطعمته كل الطعام.

فقال الغلام: هو أحق منى بالطعام.

فسأله الوالى فى دهشة: كيف ذلك؟

فقال الغلام: ليس فى هذه الناحية كلاب... وهذا الكلب غريب.. واضح أنه أتى من مكان

بعيد، وقد غلبه الجوع، ولم يصادف من يطعمه فى هذه الناحية.

فتأثر الوالى وقال: يا غلام... هل أنت من هذه الناحية؟

فقال الغلام: إننى أعمل فى هذا البستان المقابل للنهر، وصاحب البستان يعطينى أجرى ثلاثة أرغفة كل يوم، فأكل واحداً فى كل وجبة.

فقال الوالى: معنى ذلك أنك أعطيت طعامك الذي كنت ستقتات به طوال اليوم للكلب!!

فقال الغلام: نعم يا سيدى.

فقال الوالي: ولماذا لم تحتفظ لنفسك بشيء منه؟

فقال الغلام: يا سيدى إن الله أكرمنى، وإذا كنت سأجوع اليوم، فغداً إن شاء الله سأكل مما سيعطيه لى صاحب العمل... أما هذا الكلب المسكين فربما لا يصادف أحداً يعطف عليه.

فقام الوالى من فوره، واشترى البستان من صاحبه، ووهبه للغلام.... وبعد فترة من الزمن تذكر الوالى هذه القصة، فقال فى نفسه: فَلأَذْهَبْ لأري ماذا فعل الغلام بالبستان.

وذهب متخفياً على أنه عابر سبيل، فإذا به يجد عريشة تحت الأشجار على شاطىء النهر عليها لوحة تحمل عبارة «مرحباً بعابري السبيل».... فدخل الوالى وجلس مع الجالسين... فأتي الغلام وقدم لهم الطعام والفاكهة.. فسأل الوالى بعض الجالسين: كم ثمن هذا الطعام؟

فقال أحدهم: هذا الغلام جعل هذه العريشة، وهذا الطعام لعابرى السبيل بلا مقابل.

فدهش الوالى وقال للغلام صاحب العريشة: يا غلام لماذا لا تأخذ مالاً؟

فقال الغلام: إن هذا من فضل الله.. فكيف آخذ فى مقابله مالاً؟!

* * *

الغلام الذكى:

كان يوجد والٍ يسمى «الحجَّاج» يهابه الناس ويخشون بأسه، وإذا ما رأوه فى الطريق فَرُّوا من أمامه.. وفى أحد الأيام شاءت الأقدار أن يمر غلام صغير فى طريق «الحجاج».. فتعجب الحجاج فى نفسه من شجاعة هذا الغلام، فناداه وسأله: ماذا تحمل بيدك أيها الغلام؟... فقال له: كتابى أتعلم منه..

فطلب منه الحجاج أن يقرأ منه... فقال الغلام: حسناً.. سأقرأ لك أيها الأمير.. بسم الله الرحمن الرحيم (ألم نشرح لك صدرك* ووضعنا عنك وزرك)[1].... فقاطعه الحجاج قائلا: كفى يا غلام، قلت لك اقرأ ما فى الكتاب ولم أقل لك اقرأ ما تحفظه في صدرك... فرد عليه الغلام: أنا أعرف ما هو مكتوب فى الكتاب، ولكن هل يرضى الأمير أن أقابله بالعبوس وأقرأ له (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى)[2]...

وتعجب الحجاج من رده وربت علي ظهره وهو يقول له: بارك الله فيك أيها الغلام،، وإذا احتجت إلى شىء فى المستقبل فتعال إلىَّ... فشكره الغلام وانصرف.

ومرت الأيام.. وإذا بالغلام يرى أمه حزينة باكية، فسألها عما يحزنها ويبكيها، فقالت له: إن أباك أودع السجن.

فنظر إليها فى استغراب وقلق ودهشة وقال: ماذا تقولين يا أماه؟.. والدى فى السجن؟

قالت: نعم يا بنى.. لأنه ضُبطَ يمزج اللبن بالماء.

فبكى الغلام وهو لا يصدق أن أباه يغش الناس... ثم نظر إلى أمه قائلا: اطمئنى يا أماه.. سأعمل على إخراج أبى من السجن... فهزت أمه رأسها قائلة: أتهزأ بى يا بنى؟

---

(١) الآيتان الأوليتان من سورة الشرح.

(٢) الآيتان الأوليتان من سورة عبس.

فقال لها: لا والله يا أماه، ولكنى سأقابل الحجاج ليفرج عن والدى.

وذهب الغلام إلى قصر الحجاج يطلب مقابلته، فمنعه الحراس من الدخول، ولكنه أصر على مقابلة الأمير.. وسمع الحجاج الغلام وهو يرفع صوته طالبا إياه.. فخرج الحجاج وطلب من الحراس أن يدخلوا الغلام إليه... ودخل الغلام محيياً الأمير: السلام على حضرة الأمير... فرد عليه السلام، ثم سأله: ماجاء بك أيها الغلام؟... قال: لقد سَجَنْتَ أبى، وجئتُك لتخرجه من السجن..

فأمر الحجاج بإخراج والد الغلام من السجن، فخرج وامتثل أمام الأمير الذى خاطبه قائلا: بئس الأب ونعم الابن، فاعترض الغلام قائلا: لا.. أيها الأمير.. قل نِعْمَ الأب وبئس الجد:

فتعجب الأمير قائلا: كيف يا غلام؟... فقال: إن أبى علمنى وربانى وأحسن تربيتى فكنت كما ترى، فسُر الأمير لقول الغلام وأمر بالإخراج عن والده.

وهكذا خرج الأب من السجن بحسن تربيته لابنه، وعاهد ربه على ألا يعود للغش أبداً..

* * *

المفاجأة:

كان فى قديم الزمان حاكم ظالم لا يسمع نصيحة أهل العلم والتقوى الذين كانوا يكتبون له الرسائل ينصحونه، ولكنه لم يكن يهتم بهذه الرسائل فحسب، بل كان يتمادى فى ظلمه، وفى ترك أعوانه وجنوده يفعلون مايشاءون.

وكان بالمدينة شيخ صالح معروف بالتقوى والورع وحب الناس، ظل يخاطب الحاكم طالباً منه أن يتقى الله فى الناس، وأن يكف عن مظالمه، ويبعد عنهم شر أعوانه وجنوده.. ولكنه لم يكن يهتم بهذه الرسائل التى يبعثها الشيخ أيضاً.

وأراد الشيخ أن يذهب بنفسه لهذا الحاكم الظالم ليواجهه بما أمر الله به أن يحكم رعيته...

وعندما ذهب الشيخ للحاكم الظالم قال بصوت قوى: السلام على من اتبع الهدى.. وفوجئ الحاكم بهذه التحية، فقطبَ وجهه وردَّ قائلا: وعلى المؤمنين السلام.

فقال الشيخ: جئتك أيها الحاكم لأطلب منك أن تتقى الله فى الرعية، وأن تعدل بينهم، وأن تحكم بما أمر الله به.. فوجم الحاكم واكفهر وجهه وأمر بسجن الشيخ وتعذيبه.

وألقى الحراس بالشيخ الصالح فى السجن المظلم.. وكان المفروض أن يدخل الحراس كل صباح وكل مساء ليضربوا الشيخ بالسوط ضرباً شديداً، ولكن حراس السجن كانوا يهابون الشيخ ويقفون أمامه بخشوع وهم يرونه جالساً على سجادة الصلاة يقرأ القرآن بترتيل يثير الخشوع فى القلب.

ولما علم الحاكم بأمر هؤلاء الحراس هاج وماج وطردهم من العمل... وأمر بأن يدخلوا على الشيخ عدداً من الكلاب المفترسة بعد أن يمنعوا عنها الطعام يوماً كاملاً..

كان الشيخ جالساً علي السجادة حين أقبل الحاكم وبعض أعوانه ومعهم ثلاثة كلاب

مفترسة جائعة.. والجميع يضحكون وينتظرون ما ستفعله الكلاب بالشيخ، وما سيفعله الشيخ حين يرى الكلاب.

وقال أحد الأعوان الأشرار: لسوف يقفز من فوق السجادة هارباً وينسى كل ما حفظه من القرآن.

وقال آخر:لسوف يقبل عليك يا سيدى الحاكم يرجو عفوك وصفحك.

وقال الحاكم الظالم: سوف نرى.

وفتح الباب الجانبى، واندفعت منه ثلاثة كلاب وحشية جائعة.. ولم يتحرك الشيخ من مكانه، وإنما ظل علي السجادة يرتل القرآن ويقول: (الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين).

وتوقفت الكلاب فجأة عن الاقتراب منه، ثم قبعت أمامه ساكنة وقد خشعت تماماً وراحت تهز ذيولها وهى تنظر إلي الشيخ وكأنما تطلب منه أن يسامحها بسبب دخولها عليه بغير إذن.

وتسمر الحاكم فى مكانه وهو يرى المنظر، ولكنه أفاق بسرعة، وأمر يأخذ الكلاب بعيداً، ثم هبط إلى حيث يجلس الشيخ، وراح يقبل يديه ورأسه وهو يبكى ندماً وطلباً للصفح.. وصفح الشيخ عنه، ولكن الحاكم قرر أن يعتزل الحكم ويقضى بقية حياته فى العبادة.

* * *

العاصى

ارتكب رجل كثيرا من الذنوب، وعصى الله، حتى إنه لم يترك إثماً إلا فعله، ولا فاحشة إلا أتاها، لدرجة أنه قد يئس من أن يغفر الله له.. فنصحه صديق له أن يذهب إلى أحد الصالحين يستشيره فى أمره.

فذهب إلى أحد الصالحين يسأله أن يجد عنده منقذاً له من عذاب جهنم.. فطمأنه بأن عنده ما ينقذه.. فقال له: أسعفنى به يرحمك الله... فقال الرجل الصالح: إذا قبلت خمسة شروط لا تخرج عنها وتتفق معى عليها فإنى أضمن لك علاجَ ما أنت فيه..... قال الرجل العاصى: أقبل شروطك جميعاً.

فقال الرجل الصالح: مهلاً يا صاحبى، إنها لشروط قاسية جداً...

قال العاصى: أقبلها ما دامت لا تجعلنى أدخل جهنم.

فعاد الرجل الصالح يقول له: إنها شروط لا تقدر عليها يا صاحبى.

فعاد العاصى هو الآخر يقول: أقبلها ما دامت تمنع عنى عذاب جهنم، برغم عصيانى وعدم طاعتى لله.

عندئذ قال الرجل الصالح: الشرط الأول أنك إذا أردت أن تعصى الله، فلا تأكل من رزق الله أبداً.

فقال العاصى: كل الناس يأكلون من رزق الله، ولا يوجد من لا يأكل من رزق الله، فمن أين آكل، وكل ما فى الأرض من رزقه؟.

قال الرجل الصالح: ما دمت تعلم أنك تأكل من رزق الله، أفيحسن لك أن تأكل من رزق الله ثم تعصيه؟!

فقال العاصى: لا... ثم ما هو الشرط الثانى؟

قال الرجل الصالح: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن فى بلد من بلاد الله؟

فقال العاصى: والله إن هذا الشرط أصعب من الشرط الأول.. إذْ كيف أجد بلداً ليس من بلاد الله؟!

إذْ المشرق والمغرب وما بينهما كلها بلاد الله.. فأين أسكن؟!

قال الرجل الصالح: أفيحسن لك أن تأكل من رزق الله وتسكن فى بلاد الله ثم تعصيه؟

فقال العاصى: لا.... ثم ما هو الشرط الثالث؟

قال الرجل الصالح: إذا أردت أن تعصى الله فلا تجعله يراك وأنت تفعل المعصية.

فقال العاصى: وهذا أصعب.. كيف وهو يرانى ولا أراه.. وهو مطلع على الظاهر وما تخفى السرائر.

قال الرجل الصالح: أفيحسن أن تأكل من رزقه وتسكن فى بلاده وتعصيه ويراك وأنت مجاهر بمعصيتك له.

فقال العاصى: لا.... وما هو الشرط الرابع؟

قال الرجل الصالح: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرنى حتى أعمل صالحاً وأتوب عن ذنوبى.

فقال العاصى: هل يقبل ملك الموت؟

قال الرجل الصالح: إنك تعلم أنه إذا جاء ملك الموت فلا تأخير، ولا تأجيل، فلن تقدر أن تدفع عنك الموت، فكيف تريد النجاة من العذاب وترجو الخلاص؟!

فقال العاصى: وما هو الشرط الخامس؟

قال الرجل الصالح: إذا جاءك حراس جهنم ليأخذوك إلى النار فقل لهم: لا.. لن أذهب معكم!

فقال العاصى: وهل يقبلون منى ذلك، يتركوننى.

obeikandl.com

فقال الرجل الصالح: فكيف تطلب النجاة يا صاحبى.. وتريد أن تعصى الله.

فبكى الرجل العاصى وأخذ يردد: أستغفر الله وأتوب إليه.. أستغفر الله وأتوب إليه.

.... ومنذ ذلك اليوم لم يرتكب هذا الرجل معصية، بل كان دوماً فى حالة عبادة، أو فى خدمة الناس وعمل الخير.

* * *

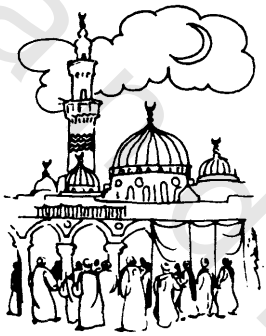

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى (بتصرف).

قصص من التراث

ابنة الصياد

كان لرجل صياد ثلاث بنات، وكان فى كل يوم يصطحب إحداهن إلى شاطئ النهر، ثم يعود فى المساء، وقد امتلأت سلته بالسمك الكثير.... وذات يوم كانت أسرة الصياد تتناول الطعام، فقال الأب لبناته: إن السمكة لا تقع فى شبكة الصياد إلاَّ إذا غفلت عن ذكر الله..

قالت إحداهن: وهل يذكر الله ويسبحه أحدٌ غير الإنسان؟

قال الأب: نعم ـ يا بُنيتى ـ فإن كل ما خلقه الله تعالى يسبح بحمده، ويعترف بأنه هو الذى خلقه وأوجده.. كالعصافير وغيرها من الطيور، حتى الحيتان الكبيرة، والأسماك الصغيرة، تفعل ذلك..

عجبت الفتاة من كلام أبيها، وقالت: ولكننا لا نسمعها تسبح الله، ولا نفهم ما تقول!!

ابتسم الأب وقال: إن كل مخلوق خلقه الله تعالى له لغة يتفاهم بها مع أفراد جنسه، والله تعالى على كل شىء قدير.

ولما حان دور ليلى الصغيرة إحدى بناته ـ للخروج مع أبيها، قررت أن تفعل شيئاً، ولكنها لم تخبر أحداً به، ووصل الأب إلى الشاطئ ورمى شبكته وهو يدعو الله تعالى أن يرزقه ويغنيه.. وبعد قليل سحب الشبكة فخرجت فيها سمكة كبيرة، ثم رمى بالشبكة مرة بعد مرة.. وفى كل مرة كان يصطاد سمكة.

.. ولكن ليلى كانت تعيد السمكة إلى النهر مرة أخرى.

ولما انتهي أبوها من الصيد، وأراد أن يعود إلي المنزل نظر فى السلة، فلم يجد شيئاً،

فتعجب أشد العجب وقال: أين السمكات يا ليلى.. ماذا فعلت بها؟ لقد أعطيتك إياها لتضعيها فى السلة.

قالت ليلى: لقد أعدتها إلى النهر يا أبى.

قال الأب: كيف تعيدينها، وقد تعبنا فى اصطيادها؟

قالت ليلى: سمعتك يا أبى تقول يوم أمس إن السمكة لا تقع فى شبكة الصياد إلا إذا غفلت عن ذكر الله تعالى، فلم أحب أن نأكل شيئاً قد غفل عن ذكر الله تعالى.

نظر أبوها مندهشا، وجعل يبكى وهو يقول: صدقت ـ يا بنيتى ـ فلو ذكرت السمكات ربهن ما وقعن فى الشبكة.. ثم عاد إلى منزله، وليس معه شىء.

وفى ذلك اليوم كان أمير البلدة يتفقد أحوال الناس، ولما وصل إلى مقربة من بيت الصياد وأحس بالعطش طرق الباب، وطلب شربة من ماء... فحملت «رضوى» أخت ليلى الماء إلى الأمير وهى لا تعرفه، فشرب وحمد الله تعالى، ثم أخرج كيساً فيه نقود وقال: خذى هذه الدراهم هدية إليكم.. ثم انصرف..

وأغلقت «رضوى» الباب وهى تكاد تطير من الفرح، فاستبشر أهل المنزل.. وقالت الأم: لقد أبدلنا الله خيراً من السمكات!

ولكن ليلى لم تشاركهم فى فرحتهم، بل أخذت تبكى..

فقال الأب: ما الذى يبكيك ـ يا ليلى ـ إن الله عز وجل عوضنا خيراً من السمك.

قالت ليلى: يا أبى.. هذا إنسان مخلوق نظر إلينا ـ وهو راضٍ عنا ـ فاستغنينا، وفرحنا بما أعطانا، فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وهو راضٍ عنا؟!

قال الأب: وقد فرح بكلامها أكثر من فرحه بكيس النقود: الحمد لله الذى جعل فى بيتى من يُذَكِّرنا بفضل الله تعالى وكرمه[1].

* * *

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى (بتصرف).

جرة الذهب

بينما كان الرجل يحرث أرضه ويردد فى نفسه: الحمد لله لقد رزقنى الله أرضاً أستطيع زراعتها والانتفاع بها، إذا به يعثر على جرة مملوءة بالذهب.. وحاول الشيطان أن يوسوس للرجل بأن الجرة من حقه، وليست من حق الرجل الذى اشترى الأرض منه، لكن الخوف من الله سيطر على نفسه أخيرا فصرخ وقال: لا ـ إنها ليست من حقى، أنا اشتريت الأرض ولم أشتر الجرة... ولم يلبث أن حمل الرجل الجرة واتجه بها إلى صاحب الأرض الذى اشتراها منه وقال له: هذه جرتك لقد وجدتها حينما كنت أحرث الأرض.... ولكن صاحب الأرض كان أميناً صادقاً. فرفض أن يأخذ الجرة قائلاً له: الجرة جرتكُ، لقد بعتكُ الأرض وما فيها.

فسأله: كيف آخذ الجرة وأنالم أشترها؟

واختلف الرجلان كل واحد منهما يريد أن يعطى الجرة للآخر، وأخيراً قررا الاحتكام إلى القاضى..... فذهبا إليه، وسمع القاضى القصة من الرجلين، فأعجب بصدقهما وأمانتهما وقضى بحلٍّ يُرضى الطرفين فسألهما: ألكما أولاد أيها الرجلان؟ فقال أحدهما: نعم لى ولد، وقال الآخر: وأنا لى فتاة .

فقال القاضى: إذن زَوِّجا الفتاة والشاب وأنْفقاً عليهما من ذهب الجرة، وتصدقا بالباقى على الفقراء..

فارتضى الرجلان بحكم القاضى وانصرفا مسرورين.

وهذا يذكرنا يا أطفالى الأحباب بحديث نبوى شريف.. فعن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال:

«اشتري رجل من رجل عقاراً، فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره

جرة فيها ذهب، فقال له الذى اشترى العقار خذ ذهبك، إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتر الذهب، وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل.. فقال الذى تحاكما إليه:

ألكما ولد؟ قال: أحدهما: لى غلام.... وقال الآخر: لىَ جارية[1].

قال: أنكحا[2] الغلام الجارية، وأنفقا على أنفسهما منه وتصدقا».

* * *

(١) الجارية: البنت.

(٢) أنكحا: زوِّجا.

obeikandl.com

حق الجار:

كان الفقيه أبو حنيفة يعيش بمدينة الكوفة، وكان له جار يعمل إسكافياً، يشتغل طوال النهار.. فإذا أقبل الليل، رجع إلى منزله، فتعشى ثم يبدأ فى الغناء بصوت مزعج يقلقه، ويستاء منه من يسمعه، بأغنية واحدة لا يغيرها حتى ينام.

وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ويستاء من غناء جاره... وفى إحدى الليالى لم يسمع صوت جاره فسأل عنه، فقيل له: إن رجال الشرطة قد قبضوا عليه وحبسوه.

فذهب أبو حنيفة لمقابلة والى الكوفة الذى استقبل أبا حنيفة أفضل استقبال لمكانته الكبيرة فى نفسه، وسأله عن حاجته، فقال الفقيه الكبير: لى جار يعمل إسكافياً ، أخذته الشرطة، ونرجو أن تأمروا بإطلاق سراحه.. وفى الحال استجاب الوالى لرجاء أبى حنيفة.

وخرج أبو حنيفة وركب دابته والإسكافى يسير وراءه، فلما وصلا إلى بيتهما، نزل أبو حنيفة والتفت إلى جاره الإسكافى وسأله: يا رجل. هل أضعناك؟.... قال الرجل: لا.. بل حافظت علينا، ورعيت حق الجوار.. جزاك الله خيراً.

ومنذ ذلك اليوم، لم يعد الرجل إلى ما كان يفعل.. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا يقول: «... **خير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**».

* * *

علقمة والشهادة:

كان فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل يسمى «عَلْقَمة» يعمل الخير، ولكنه لم يكن يُرْضِى أمه.. وعندما حانت لحظة احتضاره لم يستطع أن يَنْطقَ بالشهادة... ومن حوله أصحابه وأقاربه يقولون له قل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله... ولكن «علقمة» لا يستطيع لسانه أن ينطق بالشهادة، فاتجه أهله وأصحابه إلى رسول الله وأخبروه بحال «علقمة» وعدم استطاعته النطق بالشهادة.. فسألهم رسول الله: أما زالت أمه على قيد الحياة؟... فقالوا: نعم... فقال: أحضروها وسألها رسول الله: كيف حال علقمة معكِ؟

فقالت أم علقمة: لستُ راضيةً عنه، ربيته صغيراً فضيعنى كبيراً.. هذا حال علقمة معى.

فأراد الرسول أن يستميل قلبها نحو ابنها، فقال لمن حوله: أشعلوا ناراً... ثم قال لها: أتحبين يا أم علقمة أن يُلْقَى بولدك فى هذه النار؟

فصرخت أم علقمة وقالت: لا يا رسول الله إنه ولدى... فقال رسول الله: ارضى عن «علقمة» حتى ينجو من النار... فقالت أم علقمة رضيت يا رسول الله.. رضيت يا رسول الله.

عندئذ قال رسول الله: أسرعوا إلى علقمة ولقنوه الشهادة... فلقنوه، فنطق علقمة بالشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

* * *

السجينان:

بعد أن هاجر المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة، بدأ المسلمون اللحاق به، لكن قريشاً حاولت أن تمنع بعض المسلمين من الهجرة، وزجت ببعضهم فى السجن، خوفاً من أن يزداد عدد المسلمين فى المدينة.

.. ومن هؤلاء السُّجناء هشام بن العاص، وعياش بن أبى ربيعة اللذان طال سجنهما بضع سنين.

وخطب الرسول فى أصحابه يوماً فقال لهم: من لى بعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص؟

فقال أحدهم ـ ويسمى الوليد بن المغيرة: أنا يا رسول الله.

ورسم الوليد خطة الإنقاذ بنفسه، فتنكر فى ملابس تاجر غريب وقصد مكة، وتعرف على المكان المنيع الذى سجن فيه هشام وعياش... ومكث الوليد فترة من الوقت فى مكة بدون أن يعرفه أحد، وهو ينتظر الفرصة المناسبة لتحرير السجينين بعد أن عرف مكانهما بدقة.

وعندما حانت اللحظة المناسبة تسلق الوليد السور فى غفلة من الحراس وهبط إلى السجن واستطاع أن يفك قيود هشام وعياش، وخرج بهما متخفيا إلى جمل كان قد أعده مسبقاً خارج مكة، وعادوا جميعاً إلى المدينة.

... وسُرَّ النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون بنجاة هشام وعياش، وأثنوا على شجاعة الوليد.

وهكذا كان المسلمون يتسابقون لتنفيذ أوامر الرسول غير مبالين بالمصاعب والمخاطر، ما دام هدفهم رضا الله ورسوله.

الرزق فى العمل

ذات يوم كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يمشى فى بعض الطرق، فرأى رجالاً يعملون بنشاط وجد، ورأى رجلاً جالساً إلى جانب جدار، وقد رفع يديه إلى السماء يقول: اللهم ارزقنى..

قال له عمر: من أين يرزقك الله يا رجل، وليس لك عمل ترتزق منه؟

قال الرجل: ماذا يا عمر؟.. أليس الله يقول: (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) (١).

فضحك عمر وقال: صدق الله إن أردت يا أخى أن تكون دابة، فإن الدابة تسعى فى مناكب الأرض تطلب الماء والمرعى حتى تجدهما، وتسعى لتسترزق فيرزقها الله، ولو وقفت مكانها لما وجدت رزقاً.

قال الرجل: (وفى السماء رزقكم وما توعدون)(٢).

قال عمر: صدق الله العظيم، قَدَّر لكل مخلوق على الأرض رزقه، وطلب إليه أن يسعى فى طلب هذا الرزق، فلا يقعد أحدكم عن طلب رزقه وهو يقول: «اللهم ارزقنى، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

* * *

(١) صدر الآية ٦ من سورة هود.

(١) الآية ٢٢ من سورة الذاريات.

الشاب والتفاحة وأبو حنيفة:

هناك قصة تاريخية تقول إن شاباً فى الخامسة والعشرين من عمره كان يمشى فى الطريق بجانب حديقة تفاح وأحس بالجوع، فمد يده وتناول تفاحة.. وبعد أن أكل نصفها تذكر أنه لم يستأذن صاحب الحديقة، فأخذ يتلفت يمينه ويسرة حتى رأى رجلاً يجلس فى مكان بعيد.. فذهب إليه وقال له: إني كنت جائعاً وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها، وجئت لأستاذنك فى النصف الذى أكلته.... فقال له الرجل: إننى خفير الحديقة.. وأما صاحبها فيقيم فى قرية تبعد عنا بنحو أربع وعشرين ساعة سيراً على الأقدام... فانطلق الشاب حتي وصل إلى القرية وطرق باب صاحب الحديقة... ولما خرج إليه، حكى له ما فعل، واستأذنه فى نصف التفاحة الذى أكله.

فقال له الرجل: لن أصفح عنك حتى تتزوج ابنتى... وهذا هو الشرط للصفح عنك، وقبل أن توافق على الزواج منها سأقدم لك أوصافها.. إنها صماء، بكماء، كفيفة، كسيحة.

قال الشاب فى نفسه: إننى جئت هنا لكى أحلل طعامى ويستجاب دعائى عند الله، فلابد أن أقبل هذا الشرط، ودخل ليرى عروسه، فوجدها فتاة جميلة لاعيب فيها.

ولما سألها عن سبب ما قاله أبوها فيها قالت:

إننى صماء لا أسمع كلمة تغضب الله.

وإننى بكماء لا أتكلم فيما يغضب الله.

وإنى كفيفة لا أرى ما يغضب الله.

وإننى كسيحة لا أسعى فيما يغضب الله.

وعلى الفور قبل الشاب الزواج منها.. وأنجب هذا الزواج الإمام أبا حنيفة النعمان،

رضى الله عنه وأرضاه.

هذا الشاب رفض أن يأكل حراماً حتى يكون مستجاب الدعوة.

وهو نموذج طيب للمسلم الذى يحرص على جيرانه وعدم الإضرار بهم خوفاً من الله عز وجل.

* * *

obeikandl.com

مثال الحاكم الورع

عندما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتفقد ويطمئن على أحوال المسلمين فيسير فى الطرقات بطوف ببيوت المسلمين للاطمئنان عليهم إذ به يسمع من وراء خيمة بكاء أطفال..فاقترب من الخيمة ومعه شخص آخر (خادمه أسلم) فوجدا امرأة وحولها أطفال يبكون فألقى عليها تحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... فردت المرأة التحية بمثلها.

ثم سألها عمر عن أحوالهم، ولماذا يبكى الأطفال؟.

فقالت المرأة: نحن مسافرون واضطرنا الظلام والبرد إلى النزول بهذا المكان.. وإن الأطفال يبكون من شدة الجوع... فقال عمر: أليس فى هذا الإناء طعام؟

أجابت المرأة: كلا.. إنه إناء مملوء بالماء وضعته فوق النار لأسكتهم به حتى يناموا .. ثم هزت رأسها لتعود فتقول: «والله بيننا وبين عمر بن الخطاب»... وهى لا تعرف أن الذى يكلمها هو عمر بن الخطاب نفسه.

فقال لها: يرحمك الله... وما ذنب عمر بن الخطاب؟

قالت المرأة: أليس هو أمير المؤمنين؟.... فكيف يتركنا على هذا الحال؟

فتأثر عمر بن الخطاب وشعر بالعطف والإشفاق على هذه المرأة وأولادها المساكين، فأسرع بالانصراف مع رفيقه قبل أن ترى المرأة الدموع الغزيرة التى سالت من عينيه.

وطوال الطريق إلى المدينة كان عمر يبكى، فسأله رفيقه: لماذا تبكى يا سيدى؟

فأجاب عمر بحزن وهلع: ماذا أقول لربى يوم القيامة حين يسألنى عن هؤلاء الفقراء والمساكين.. والله لو أن بغلة تعثرت بأرض العراق لخشيت أن يسألنى الله لماذا لم أمهد لها الطريق؟

وأسرع عمر إلى بيت مال المسلمين، فأخرج منه كيساً ضخماً من الدقيق، ووعاءً كبيراً من السمن، وحملهما مسرعاً نحو المرأة وأطفالها..

وفى الطريق حاول خادمه «أسلم» أن يحمل الكيس والوعاء، ولكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رفض بشدة وصاح فى خادمه: اتركنى أحملهما بنفسى، فأنت لن تحمل عنى ذنوبى يوم القيامة.

وعندما وصل عمر وخادمه إلى خيمة المرأة طلب منها أن تسرع بطهى الطعام للأطفال.. ولم يكتف عمر بذلك بل راح يساعد المرأة بنفسه فى الطَّهى وينفخ لها فى النَّار تحت الإناء والدخان يتخلل وجهه ولحيته حتى نضج الطعام، فأفرغه فى الأطباق، وأطعم الأطفال إلى أن شبعوا وناموا.

هكذا كان عمر بن الخطاب مثالاً للحاكم الورع الذى يخشى ربه.

* * *

صورة.. وصورة من الإيثار

أولا.. يا أحبائى الصغار.. الإيثار هو تفضيل الإنسان غيره على نفسه.

فيحكى أن ثلاثين رجلاً اجتمعوا فى دار الحسن الأنطاكى.. ولم يكن عند صاحب الدار طعام يكفيهم.. فقدم إليهم عدداً قليلاً من أرغفة الخبز.

واقترح أحدهم أن تُقَطَّعَ الأرغفة إلى أجزاء ويطفأ نور المصباح ليأكلوا فى الظلام، حتى لا يعرف أحدهم نصيب الآخر.. فيأكل شديد الجوع بدون حرج....

وبالفعل قاموا بتقطيع الخبز وإطفاء المصباح.... وبعد فترة قام صاحب البيت بإضاءة المصباح، فَفُوجِئَ الجميع بأن قطع الخبز كما هى لم تنقص منها واحدة؛ لأن كُلَّ واحدٍ من الرجال فَضَّلَ أن يترك الفرصة للآخرين، لعل فيهم من هو أشد جوعا منه.

وكانت النتيجة أنهم لم يأكلوا جميعاً، فقد تمثلوا بنصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

.....

وصورة أخرى من صور الإيثار... وهى ما حدث فى موقعة اليرموك، عندما سقط عدد من شباب الإسلام المجاهدين جَرْحَى، وقد نال منهم الإعياء، واقترب الموت منهم.

وكان من بينهم «عكرمة بن أبى جهل» الذى تقدَّم إليه قريب له بكوب فيه جرعة ماء يزيل به ظمأه، ولكن «عكرمة» نظر إلى جرعة الماء وهو فى أشد الحاجة إليها، وقال لابن عمه: أعطها لأخى هذا فإنه أحق بها منى... فذهب الرجل إليه... ولكن الثانى رفض وقال: أعطها لأخي هذا فإنه أحق بها منى... فذهب حامل الماء إلى الجريح الثالث، ولكنه كذلك رفضها وقال: أعطها لأخى هذا فإنه أحق بها .. فذهب الرجل إلى الجريح الرابع فقال يا أخى: إن ابن عمك هو أحق بهذا الماء منا جميعا، فارجع إليه.

وعاد الرجل بالماء إلى «عكرمة» فوجده قد أسلم الروح.. ثم ذهب إلى الثانى فوجده قد فارق الحياة وكذا الثالث والرابع فقد فاضت أرواحهم كلهم.. بعد أن آثر كُلّ منهم أخاه على نفسه بشربة ماء كان فى أشد الاحتياج إليها.... هكذا كان خلق الإيثار الذى تحلَّوا به إرضاء لربهم وعقيدتهم مما لا نجد له نظيراً فى التاريخ.

* * *

التوبة إلى الله

كان فى سالف الزمان رجل يسمى «عبد الحميد» أراد السفر إلى العراق ليطلب العلم فيها... فقد كان شاباً فى مقتبل عمره، فأعطته أمه مائة جنيه ليستعين بها فى سفره... ثم قالت له: أُمْدُدْ يدك لتعاهدنى على ألا تكذب أبداً، وأن تقول الصدق دائماً مهما كان الأمر، فمد يده إليها ووضعها فى يدها معاهداً على الصدق.... ثم وَدَّعَها ليسافر إلى العراق بصحبة قافلة متجهة إليها.

وأخذت القافلة فى المسير.. وصارت تقطع الصحارى والأودية... وفى الطريق - فى وسط الصحراء خرجت عليهم عصابة من قطاع الطرق، فقبضت على رجال القافلة وجردتهم من ملابسهم بعد أن استولت على أموالهم.

نظر أحد أفراد العصابة إلى «عبد الحميد» فوجده رث الثياب، ومظهره لا يدل على أنه يملك شيئاً فسأله ساخراً:

«أمعك شىء يا رجل»؟

فأجاب «عبد الحميد» بثبات وصدق:

نعم.. معى مائة جنيه.

فضحكت العصابة ساخرين، معتقدين أن «عبد الحميد» مصاب بالخبل والجنون؛ لأن مثله فى ثيابه القديمة المهلهلة لا يمكن أن يكون غنيًا يمتلك شيئاً.... وبرغم ذلك ساقوه مع باقى رجال القافلة أمامهم إلى زعيمهم ليرى رأيه فيهم.

وحينما وصلوا إلى مقر زعيمهم ووقفوا أمامه جميعاً... سأل الزعيم رجاله:

- من هؤلاء؟... فأجابوه:

- هؤلاء رجال قافلة كانت آتية من مصر متجهة إلى العراق، وقد استولينا على كل ما يحملون، حتى ملابسهم سلبناها منهم... ثم وضعوا أمامه الأموال والأشياء التى استولوا

عليها.

قال الزعيم:

- أليس معهم شيء آخر؟

فأجاب أحدهم: لا... ولكن معهم رجل يبدو أنه معتوه أو به خبل؛ لأنه يدعى أن معه مائة جنيه ويبدو من ملابسه الرثة القديمة المهلهلة، ومنظره البائس أنه لا يملك شيئًا.

فنظر زعيم العصابة إلى «عبد الحميد» وتأمله لحظة، ثم سأله ساخراً:

- أصحيح أن معك مائة جنيه.

فأجاب «عبد الحميد»:

نعم

فقال الزعيم غير مصدق:

أرنى إياها.

فأخرج «عبد الحميد» الجنيهات وقدمها للزعيم.... فاندهش الزعيم لفعل «عبد الحميد» فقال متعجباً: أَجُنِنْتَ يا رجل؟!... أكون معك هذا المبلغ، وحينما أسألك تخبرنى به؟

فأجاب «عبد الحميد».

نعم - يا سيدى لم أكن لأكذب حين سألتنى، فقد عاهدت أمى ألاَّ أكذب أبداً، فازداد الزعيم دهشة وعجباً... فعاد يسأله:

- هل معك غير الجنيهات لما تستعين بها فى سفرك وعيشتك؟

فأجاب «عبد الحميد»:

لا.. ولكن الله سبحانه وتعالى سوف يعوضنى عنها؛ لأنى لم أخلف عهد أمى وأعصها وأكذب. عندئذ طأ طأ زعيم العصابة رأسه وبكى، ثم قال:

- أتضحى بكل ما تملك خشية أن تخلف عهد أمك.. وأنا أملك كل هذه الأموال وأعصى الله؟! والله لسوف أَرُدُّ لكَ مالك.. بل وأكافئك بأموال أخرى.

عندئذ قال «عبد الحميد» لزعيم العصابة:

«أنا لا آخذ سوى أموالى.. أما غيرها فهى حرام؛ لأنك سلبتها مع رجالك قُطَّاع الطرق من الآخرين»..

فالتفت عيم العصابة إلى «عبد الحميد» وقد تأثر أكثر مما قاله ثم نظر إليه طويلا ليقول بعدها.

«إننى ـ الآن ـ تبت إلى الله، وأرجو أن يغفر لى ببركة هذا الشاب الطيب».

فى هذه اللحظات نظر رجال العصابة بعضهم إلى بعض وقد تأثروا مما رأوا وسمعوا، ثم قالوا لزعيمهم:

ـ لقد كنت زعيمنا فى السطو وقطع الطريق ومعصية الله تعالى... والآن تريد أن تتوب إلى الله عز وجل وتتركنا نعيش فى المعاصى؟.. لا.. والله لسوف تكون زعيمنا أيضاً فى التوبة كما كنت زعيمنا فى المعصية.

وتاب الجميع إلى الله عز وجل بفضل الصدق... وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل:

«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى البر، والبر يهدى إلى الجنة...»[1].

* * *

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

المروءة

كان حاكم المدينة جالساً في ساحة ميدان للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا، وبجواره أكابر القوم من أهل الرأى... فبينما هو يؤدى مهام القضاء إذا بشابين يجذبان شاباً من طوقه إلى حاكم المدينة الذى نظر إليه باستغراب قائلا: ما الأمر؟

فقالا: أيها الأمير.. نحن أخوان شقيقان، كان لنا أب شيخ كبير قتله هذا الشاب، نسألك القصاص والعقاب بما جناه، والحكم فيه بما أمر الله.

فنظر حاكم المدينة إلي الشاب يسأله: أهذا صحيح؟

فقال الشاب: لقد كنت أصطاد أحد الغزلان بسهام أصابت خطأً والدهما، فأسرع هذان الشابأن وأمسكانى، وإليك أحضرانى، وبين يديك أوقفانى.

فقال الحاكم: قد اعترفت بما اقترفت من خطأ.. والقتل بغير قصد له دية، فعليك أن تدفع الدية خمسمائة دينار.

فقال الشاب: سمعاً وطاعة لما حكم به الإمام، ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ولكن هل لك أن تتركنى لأحضر المال على أن يضمننى هذا.. وأشار إلى وزيره.

قال الحاكم لوزيره: أسمعت هذا الكلام فتضمن لى حضور هذا الغلام؟

قال: نعم أيها الأمير.. أضمنه إلى ثلاثة أيام.. فرضى بذلك، وأذن للغلام فى الانصراف.... فلما انقطعت مدة الإمهال ولم يحضر الشاب إلى مجلس حاكم المدينة وكبار القوم حوله... والخصمان ينتظران، قال الوزير:

وحق الملك العلام، إن لم يحضر الغلام، وفيت بالضمان وسلمت نفسى للأمير..... فبكى الحاضرون، وعرض كبار القوم على الشابين أخذ الدية، فأبيا وامتنعا.

وبينما الناس يموجون ويضجون حزناً على الوزير إذ أقبل الغلام ووقف بين يدى الإمام ووجهه مشرق يتهلل وقال: هذه الدية التى طلبت منى.. ولقد وفيت لئلا يقال ذهب الوفاء من الناس... فقال الوزير: والله لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أى قوم، ولكن لما قصدنى وقال هذا يضمننى أبت مروءتى أن تخيب قصده؛ لئلا يقال ذهب الفضل من الناس.

عندئذ قال الشَّابَّان: أيها الأمير قد تنازلنا عن حقنا لئلا يقال ذهب المعروف من الناس.

.. فأمر حاكم المدينة بالعفو الغلام، وشكر مروءة وزيره والشابين.

* * *

obeikandl.com

أديسون مخترع الكهرباء

كان «أديسون» بائع صحف يتأبط صحفه ويسير ينادى عليها ليكسب؛ رزقه، وبينما هو ينتقل بين محطّات السكك الحديدية يبيع الصحف إذا بصبى يسقط على قضبان السكة الحديدية، وكاد يدوسه القطار لولا أن أدركته رحمة الله على يد «أديسون» الذى أسرع وأنقذه من الهلاك وحمله إلى أبيه الذى يعمل موظفاً بالمحطة، فشكر لهذا الشاب الفقير صنيعه وأراد أن يكافئه فعلّمه إشارات البرق وكيفية إرسالها واستقبالها، فتعلمها «أديسون» بسرعة بعدها تم تعيينه عاملاً فى البرق[1].

كان ما تعلمه «أديسون» كافياً ليؤدى عمله، ولكنه لم يكتف بذلك، بل أخذ يدرس الكهرباء ويقرأ كتبها، وأعد لنفسه معملاً فى بيته الصغير يجرى فيه تجاربه.

ولما كان عمل «أديسون» ليلاً، كان عليه أن ينام نهاراً؛ ليكون بالليل يقظا قادراً على أداء عمله خير أداء، غير أنه كان يواصل تجاربه فلا ينام طول النهار فيغلبه النوم ليلا، فعرف ذلك رئيسه فحذره وعاقبه، ولكن لمّا تكرر منه ذلك طرده من عمله، فصار «أديسون» متعطلاً يبحث عن عمل يكسب منه قوته.. وأخذ يتردد على مكاتب شركات البرق غير أنه لم يجد عملاً.

ولكن حدث أن تعطل جهاز البرق فى إحدى شركات البرق، فتقدم «أديسون» إلى مديرها يطلب إصلاحه، وبالفعل أصلحه «أديسون» بمهارة وسرعة.. وبالتالى تم استخدامه فى الشركة براتب كبير، وهنا بدأ نجمه فى الظهور.. وأعانه عمله فى هذه الشركة وراتبه الكبير الذى يتقاضاه على مواصلة تجاربه فى معمله الذى أنفق فى توسيعه وإجراء تجاربه المال الكثير الذى بلغ نحو عشرين ألف جنيه.

---

(١) البرق: التلغراف.

وكادت تضيع وتذهب تجاربه سدى بغير نتيجة لولا دأبه وصبره، حتى لقد قيل إنه بقى إحدى المرات فى معمله أربعة أيام بلياليها لا ينام ولا يستريح إلا قليلاً يتابع تجاربه ويرقب نتائجها وهو يردد: الفوز أو الموت... وفى النهاية نجحت تجاربه، وتم له اختراع هذا المصباح الذى ربح منه أضعاف ما أنفق عليه وكسب شهرة وذاع صيته إلى يومنا هذا.

إن سيرة «أديسون» تعلمنا فضل الدأب والمثابرة وصدق العزيمة؛ لكي يتحقق لنا المجد والنجاح... ولنعلم أن كثيرا من العظماء والعلماء والمخترعين نشئوا فقراء لا يملكون شيئاً سوى إرادتهم القوية، وجهدهم الذى به بلغوا المجد الكبير.

«الرحمة بالحيوان تدخل الجنة»

أثناء سفر رجل إلى بلدة مجاورة لقريته شعر بعطش شديد وهو فى الطريق، فأخذ يبحث عن الماء هنا وهناك، ولكنه لم يجد له أثراً.. غير أنه لم ييئس من رحمة الله، وإذا به وهو يسير فى تعب شديد، يلمح من بعيد بئراً فيها ماء.. فحمد الله واتجه إليه حتى وصل للبئر، فنزل إليها وشرب حتى ارتوى...

وبينما هو خارج من البئر إذْ وجد كلباً قريباً منه يلهث من شدة العطش.. فقال فى نفسه: لقد بلغ به من العطش مثل ما بلغ بى، فلابد أن أسقيه.. ولكن أخذ يفكر ويسأل نفسه كيف أسقيه وليس معى شىء أنا وله فيه الماء...

وفجأة خطرت له فكرة أن يخلع نعله ويملأه بالماء ليسقى الكلب... وبالفعل ملأ نعله بالماء واتجه نحو الكلب يسقيه حتى شرب الكلب وارتوى، ثم أخذ يدور حول الرجل يهز ذيله وكأنه يشكره... ثم واصل الرجل السفر والكلب من خلفه يحرسه عرفاناً بالجميل .

... وقد كان لهذا الصنيع ثوابه الكبير عند الله الذى غفر للرجل ذنوبه وأدخله الجنة.

وقد تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة فقال:

«بينما رجل يمشى بطريق إذْ اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش... فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفِيه حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له».

* * *

«عندما يبخل الغنى الذى كان فقيراً»

كان بالمدينة رجل اسمه «ثعلبة بن حاطب» يحلم بالثراء، ويتمنى أن يكون مثل «عبد الله ابن أُبَىّ بن سلول» فى غناه وثرائه.

وذات يوم خطرت له فكرة أن يقصد رسول الله ليدعو الله أن يرزقه مالاً كثيراً؛ حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم مستجاب الدعوة.

وذهب «ثعلبة» إلى المسجد يقصد رسول الله.. وبعد أن صلى خلفه قام يسأله أن يدعو الله له بالثراء والغنى.. فنظر الرسول إلى ثعلبة لحظات ثم قال له: «ويحك يا ثعلبة.. قليلٌ تُؤَدِّى شكره خير من كثير لا تطيقه» فقد أشفق الرسول على ثعلبة، حيث يعلم أن المال عبء ثقيل.. فالغَنى عليه واجبات كثيرة نحو الفقراء والمحتاجين، وكثيراً مافتَن المالُ الكثير من الناس، وشغلهم عن عبادة الله وحَمْدِه؛ لذلك نصح الرسول «ثعلبة» بالقناعة، وأن يحمد، الله على مارزقه.

وأصغى «ثعلبة» لنصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم، واقتنع بها، إلا أنه كان كلما رأى «ابن سلول» مزهوًا بنفسه، مختالاً بثرائه بين القوم، لم يلبث أن ينقلب حاله فيعود إلى تمنى الثراء.. حتى أسرع ذات يوم إلى الرسول فى المسجد واقترب منه يرجوه أن يدعو الله أن يرزقه مالاً كثيرا... فصمت الرسول صلى الله عليه وسلم لحظات، ثم أخذ ينصحه، ولكن ثعلبة أعماه حب المال عن كل شىء، فأخذ يلح على الرسول أن يدعو له بالمال الكثير، وهو يعده أنه سوف يعطى الفقير حقه، والسائل حقه، والمسكين حقه، بل سيعطى الرسول أيضاً ما يحتاج إليه؛ لينفق منه على فقراء المسلمين وتجهيز الجيوش للجهاد فى سبيل الله.

ثم أقسم للرسول قائلاً: «والذى بعثك بالحق لئن دعَوْتَ الله فرزقنى مالاً لأعطين كُلَّ ذى

حق حقه» .. عندئذ رفع الرسول يديه إلى السماء يدعو ربه قائلا: «اللهم ارزق ثعلبة مالا».

وبالفعل.. فبينما ثعلبة عائد إلى بيته يفكر فى دعاء الرسول ويبتسم إذْ رأى أعرابيًا يسوق عدداً من الغنم لا يتجاوز عشراً، اشتراها «ثعلبة» بخمسة وعشرين درهماً... ومرت الأيام والشهور والغنم تتكاثر وتتكاثر حتى بلغت عدداً كبيراً، فاضطر «ثعلبة» إلى الابتعاد عن المدينة قليلاً؛ ليجد المراعى التى تتسع لغنمه، وأدى ذلك إلى ابتعاده عن صلاة الجماعة التى كان يؤديها مع المسلمين وراء الرسول صلى الله عليه وسلم خمس مرات يوميًا.

وتكاثرت أغنام ثعلبة أكثر وأكثر، مما اضطره إلى الابتعاد أكثر عن المدينة؛ ليجد المراعى الفسيحةالتى تتسع لغنمه، ولم يعد قادراً على الذهاب إلى المدينة... فقرر الإقامة مع غنمه خارج المدينة والذهاب للصلاة وراء الرسول يوم الجمعة فقط...

وشيئاً فشيئاً.. تكاسل عن صلاة الجمعة أيضاً..

ومضت الأيام، وأراد الرسول أن يعد جيشاً للجهاد، فحث المسلمين على أن يتصدقوا ليتيسَّر تجهيز المجاهدين، فسرعان ما تسابقوا فى تقديم صدقاتهم مثل الصحابى «عبد الرحمن بن عوف» الذى قدم أربعة آلاف درهم، هى نصف ما كان يملكه... فى حين بخل المنافقون الأثرياء مثل «عبد الله بن أُبَىّ بن سلول» بل وسخروا ممَّن تصدَّق فى سبيل الله.

وفى أثناء جمع الصدقات أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رجالا إلى خارج المدينة ليجمعوا الصدقات وذهب هؤلاء إلى «ثعلبة» الذى رفض أن يقدم شيئاً.. بل ثار واحتج وقال لجامعى الصدقات: لا.. هذه ضريبة يريد الرسول أن يأخذها من مالى... ونسى ثعلبة أنه كان فقيراً يطلب الغنى فأغناه الله.. ونسى ماتعهد به للرسول صلى الله عليه وسلم من التصدق بماله إذا أغناه الله..

وعلم الرسول بما كان من «ثعلبة» قبل أن يحدثوه بأمره معهم، فقال: ياويح ثعلبة.. يا ويح ثعلبة وصدق رسول الله فى تخوفه من فتنة المال على «ثعلبة» الذى أصبح منافقاً مع المنافقين... ونزل قول الله تعالى فى شأنه:

(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين* فلما آتاهم

من فضله بخلوا وتولوا وهم معرضون* فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون* ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب»[1].

لقد نزلت هذه الآيات الكريمة بشأن «ثعلبة» والمنافقين، وعلم بها «ثعلبة» فذهب إلى الرسول يحمل صدقته فلم يقبلها الرسول؛ لأنه لم يقدمها فى حينها.. فراح «ثعلبة» يلقى التراب على رأسه أسفاً وندماً.. ولكن ما الفائدة؟ وصار «ثعلبة» مثلاً من أمثال المنافقين الذين بخلوا بما أعطاهم الله.

* * *

الأعمار بيد الله

كان أحد الملوك سميناً جداً.... وساءت صحته بسبب الشحم الكثير الذى يهدد حياته.. وحار الأطباء فى أمره.. فلم يجدوا دواءً لتخفيف شحمه.

وذات يوم جاءه أحد المنجمين ـ وقد عرف علته ـ ففكر فى حيلة تفيد الملك، فتظاهر أنه يقرأ له الطالع.. وقال له:

لقد بقى من عمرك يا مولاى شهر واحد.. وإن لم تصدقنى، فاحبسنى عندك حتى تتأكد من كلامى.. وبعد شهر؛ صار الملك بلا شحم من شدة همه وحزنه وعزوفه عن الطعام، وأصبح نحيفاً.. وعندئذ قال المنجم:

يا مولاى.. لا تصدق أننى أعلم الغيب.. فلا يعلم الغيب إلا الله، ولو كنت أعرف عمرك لعرفت عمرى أنا!!.. ولكنى عرفت أن ما قلته لك عن نهاية عمرك سيصيبك بالحزن والهم، وبالتالى بالعزوف عن الطعام فيزول عن جسمك هذا الشحم الذى لم تفلح العقاقير عن إزالته.. أطال الله عمرك وبعد أن سمع الملك كلام المنجم سَعِدَ بحيلته، وأمر له بمكافأة كبيرة.

* * *

(١) الآيات من ٧٥ – ٧٨ من سورة التوبة.

عندما يمتلئ القلب بالإيمان

أحبائى الصغار.. هناك قصة واقعية حدثت بالفعل يرويها لنا طبيب فيقول:

طفل صغير اسمه «أحمد» كان مريضا بالقلب، ويتطلب الأمر إجراء عملية جراحية له... والأم خائفة قلقة من نتيجة العملية، فهى دقيقة وخطيرة... إنها أخذت تصرخ وتبكى عندما حانت ساعة العملية تريد أن تدخل غرفة العمليات، وذلك أمر مستحيل، ولكنها ترجو وتتوسل إلى الطبيب ودموعها تنزل على خديها، غير أنَّ الطبيب أصرَّ على موقفه بعدم دخولها غرفة العمليات، خشية أن تسبب له وللأطباء معه مشاكل أثناء إجراء العملية التى تتطلب الدقة والحذر.

ثم تهمس الأم للطبيب بكلماتها من خلال دموعها متضرعة: لن أنظر إليكم خلال العملية، كل ماسأفعله أننى سأصلى فى ركنٍ من غرفة العمليات متجهة إلى القبلة أدعو ربى أن يحفظ لى ابنى...

وأخيراً رق قلب الطبيب وقبل أن تدخل الأم على هذا الشرط... وبالفعل نفذت الأم وعدها بأمانة شديدة، واستغرقت فى صلاتها إلى الله.. والأطباء منهمكون فى إجراء العملية ببراعة.

وفجأة توقف قلب الطفل الصغير «أحمد»، فلم يعد يدق، ورفع الأطباء أيديهم عنه فى ذهول وأسى عميق؛ فقد أيقنوا أنه قد مات... وسادَ الغرفةَ صمت رهيب وسكون مخيف، فلم يعد يسمع صوت التقاط الأدوات الجراحية، فقد وضعت مكانها.

وفى وسط هذا الصمت واليأس يسمع الأطباء صوت الأم يعلو فى حرارة وإيمان وهى تهتف بنداء واحد: يارب... يارب.

وفجأة... يتبدد الصمت والسكون على دقات قلب الصغير التى عادت مرة أخرى بعد مضى ثوانٍ قليلة كأنها الساعات الطوال..... لقد عادت الحياة إلى القلب، فعاد يدق وكأنه يهتف الله.. الله.

وهكذا تراءى للأطباء دقاته التى ترجع معها مرة أخرى أصوات الأدوات يلتقطونها

ويعيدونها إلى أن نتهت العملية بنجاح باهر بعد أن كانت نسبة نجاحها ضئيلة للغاية، كما أكد الأطباء من قبل، وعندما سأل أحد الأطباء الأم بعد أن انتهى الأمر: لماذا رفعت صوتك فى هذه اللحظة بالذات بنداء «يارب»؟

قالت الأم: لا أعلم شيئاً إلا ثقتى بقدرة ربى على نجاة طفلى.

وهكذا فإن الله عند ظن عبده به.. فأحسنوا الظَّنَّ بالله.

* * *

«رجل من أهل الجنة»

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً مع أصحابه فى المسجد، فأخبرهم بأنه سوف يدخل عليهم بعد قليل رجل من أهل الجنة...

وبعد برهة قصيرة دخل رجل مشرق الوجه، وضاء الجبين من عامة المسلمين فى سكون، فصلى ثم خرج، فقال أحد الصحابة: والله لأتبعن هذا الرجل.. وأرى ماذا يفعل حتى أكون مثله من أهل الجنة.... فأخذ هذا الصحابى يتابع خطوات هذا الرجل عدة أيام متتالية فى الطرقات والأماكن التى يتردد عليها، فوجده رجلاً عادياً فى تصرفاته وأفعاله، ولا يفعل سوى ما يفعله باقى المسلمين.. يعمل ويأخذ على عمله أجراً يشترى به طعاماً ليعود به إلى أسرته.

وتحير الصحابى وتعجب، وقال فى نفسه: يبدو أن فى الأمر سرًا لابد أن أعرفه، فعزم على أن ينزل ضيفاً عند هذا الرجل..

وبالفعل استأذن الصحابى هذا الرجل أن يبيت فى منزله ثلاثة أيام بحجة قد احتالها، وهى وجود نزاع وخصام مع زوجته..

فأذن الرجل للصحابى بأن يبيت عنده.

وأخذ الصحابى يراقب الرجل فى أحواله فى بيئته... فلم يره يقوم من الليل شيئاً ولا يصلى إلا الصلوات المفروضة، وينام ويستيقظ ويذهب إلى عمله.

كل ذلك والصحابى فى عجب ودهشة من أمر هذا الرجل الذى قضى عنده ثلاث ليالٍ فلم يجد شيئاً فريداً يفعله أكثر من غيره... فسأله: ماذا تفعل يا رجل حتى صرت من أهل الجنة.

فقال له الرجل: إننى لا أفعل شيئاً زائداً عما يفعله الآخرون سوى أننى لا أحسد أحداً من الناس على خير أعطاه الله له، ولا أحمل فى قلبى حقداً أو ضغينة أو كراهية لأحد.. عندئذ فهم الصحابى السر الذى جعله جديراً برضاء الله ورسوله وجعله رجلاً من أهل الجنة.

* * *

obeikandl.com

ضيف الحجاج

كان الحجاج يوسف الثقفى أميراً على البصرة والكوفة، واشتهر ببيانه وفصاحته كما اشتهر بقسوته وفظاظته، وخصوصاً على أعداء الدولة الأموية.

وحدث أن خرج ذات يوم مع حراسه ليصطاد... وفى وسط النهار وقد اشتد الحر أمر حراسه بنصب الخيمة وإحضار الطعام، فلما أسرع الخدم فى إعداده وقدموه له، أمر أن يبحثوا له عمن يشاركه فى تناول الطعام؛ حيث إن الحجاج ـ وهو العربى المسلم ـ أبى أن يأكل وحده، وتلك كانت من عادات العرب قبل الإسلام، واستمروا عليها بعد الإسلام.

وذهب أحد الحراس يبحث عن ضيف فى الصحراء يشارك الحجاج فى مأدبته، حتى عثر على أعرابى، فأتى به إلى الحجاج، غير أن هذا الأعرابى رفض تناول الطعام.. فعندما سأله الحجاج عن السبب، قال الأعرابى:

لقد دعانى مَنْ هو خيرٌ منك فأجبته.. إنى صائم...

فقال الحجاج بعد لحظة صمت وتفكير:

أتصوم فى مثل هذا اليوم الحار؟!

فقال الأعرابى:

أتقى به يوماً هو أشد حراً... (ويعنى يوم القيامة).

فقال الحجاج:

أفطر اليوم، وصُم غداً.

فقال الأعرابى:

أيضمن لى الأمير العيش إلى غدٍ؟!

فقال الحجاج:

obeikandl.com

لا.

فقال الأعرابى:

فكيف تبيعنى عاجلاً بآجل؟

فقال الحجاج:

إنه طعام طيِّب.

والله ما طيبه طَبَّاخُك ولا خَبَّازك، ولكن طيبته العافية.

عندئذ أمر الحجاج برفع الطعام فلم يأكل بعد أن انصرف الأعرابى..

وهكذا تألق إيمان الأعرابى وتمسكه بصومه، برغم أنه كان نَفْلاً تطوعاً..

عزيزى المسلم الصغير... ماذا لو نقتدى بأمثال رجال مؤمنين كهذا الأعرابى فى إيمانه وتمسكه بعبادته وتقربه لله[1].

* * *

«عبّاد بن بشر»

كان عباد بن بشر من الرجال الذين أحبهم الرسول صلى الله عليه وسلم، الذى دعا له فقال: اللهم اغفر له...

وقد كان الرسول الكريم يرسله إلى القبائل؛ ليأخذ منها زكاة أموالهم لينفقها على فقراء المسلمين.. كما جعله من ضمن حراسه فى غزوة تبوك، حيث شارك وشهد الغزوات كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان عباد بن بشر منذ أن أسلم يسارع إلى فعْل الخيرات، ويسارع إلى الجهاد فى سبيل الله تعالى...

ومن المواقف النبيلة التى تذكر لعباد بن بشر أنه تناوب الحراسة مع عمَّار بن ياسر، ورأى عبّاد عمارًا مُجَهداً، فطلب منه أن يأخذ قسطا من النوم، ويتولى هو الحراسة

(١) يجب على المعلم توصيل هذه المعانى إلى مدارج عقل الطفل بما يتفق مع المرحلة التى يدرس فيها.

وحده.... وفى هذه الليلة رغب عبَّاد أن يصلى، فرماه أحد الأعداء بسهم فى عضده، فانتزعه ولم يترك الصلاة، فرعاه بسهم آخر فانتزعه، فرماه بسهم ثالث فانتزعه أيضاً، ولكنه كان قد خارت قواه، ونزف منه دم غزير، فأيقظ عماراً من النوم وقال له: قُمْ فإنى أصبت.... فقال عمار: سبحان الله.. هلا أيقظتنى أول ما رميت؟!.... فقال: كنت أتلو فى صلاتى آيات من القرآن الكريم ملأت نفسى روعة فلم أحب أن أقطعها، ووالله لولا أننى أحرس ثغراً لآثرت الموت على أن أقطع تلك الآيات التى كنت أتلوها... رضى الله تعالى عن عباد بن بشر، الرجل الذى دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالمغفرة... فما أعظم الإيمان وحب الله عز وجل والدفاع عن دينه.. فلنكن مثل عباد فى تضحيته بنفسه فى سبيل دين الله.

* * *

من أعلام الإسلام:

«العالم اليتيم»:

وُلد طفل يسمى «يعقوب بن إسحاق الكندى» بعد وفاة أبيه، فنشأ يتيماً، فلم يستمتع طويلا بالحياة فى قصر والى الكوفة، حيث كان والده والياً على الكوفة فى عهد الخليفة المهدى... فقد رأى آثار فخامة الإمارة وهو صبى صغير، فانطبعت فى ذاكرته، كما بقيت فى خياله ذكرى ما سمعه عن حسبه ونسبه وعن أجداده من الملوك.

ولكن بدلا من أن يستسلم للحزن أخذ على نفسه عهداً أن يجتهد فى تحصيل العلم، ويجعل له مجداً من العلم، فتعلم «الكندى» كما يتعلم أبناء المسلمين فى ذلك الحين.. تعلم القراءة والكتابة، وبعض النحو، وعلوم اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، ومبادئ الفقه، كما حفظ كثيراً من الأشعار التى زادت من بلاغته وفصاحته.

وكانت الدراسة فى ذلك الحين حرة، لا ترغم الدارس على استيعاب علوم بعينها ربما كان لا يميل إليها، أو يجد أنها لا تتفق مع استعداده وموهبته.. فمن كان يهوى العلوم الشرعية يتجه إليها، وهكذا بالنسبة لمختلف فروع العلم والمعرفة.

واجتهد «الكندى» فى تحصيل العلوم الدينية والأدبية، ثم اتجه إلى علوم الفلسفة، والتقى بالعلماء والفلاسفة؛ ليدرس هذه العلوم على أيدى كبار أساتذتها..

وما لبثت أن شاعت شهرة «الكندى» كعالم وفيلسوف، وتوالت أعماله ومؤلفاته، فكتب ٢٤١ رسالة أو ما نسميه الآن كتاباً فى سبعة عشر فرعاً من فروع المعرفة.

ولهذا كله استحق يعقوب الكندى لقب «فيلسوف العرب»... وعوض بذلك مجد الإمارة والحكم فى قصر الإمارة بمجد العلم والمعرفة فى قاعات وساحات العلم.

ولذلك يا أحبائى... من لا يملك جاهاً وحسباً ونسباً فيكفيه العلم والمعرفة جاهاً له وحسباً ونسباً.

* * *

«الصغير ينصح الكبير»

كان الحسن والحسين ـ ابنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حَرِيصَيْن على أداء الصلوات فى أوقاتها، وكانا يحسنان الوضوء.

وفى أحد الأيام ذهبا إلى مكان الوضوء، فوجدا رجلاً كبيراً لايُحْسِنُ الوضوء.. فتشاورا فى الأمر، وماذا فى إمكانهما أن يقدماه من نصيحة لهذا الرجل الكبير لكى يُحسن وضوءه ويتمه... ولكن كيف...؟ فقد كان الحسن والحسين حريصين أشد الحرص على ألا يشعر الرجل بالحرج أو الضيق، وربما لا تعجبه نصيحة من أولاد فى سن أولاده.

وأخيراً وصلا إلى فكرة طيبة.. وهى أن يتحدثا بصوت عالٍ، كأنَّ بينهما خلافاً حول أركان الوضوء، ويتهم أحدهما الآخر بأنه لا يحسن الوضوء، حتى يتصور الرجل أن هناك خلافاً حقيقياً فيتدخل ليحكم بينهما... وبالفعل قاما بتمثيل هذا الدور، فانتبه الرجل إليهما وهو ينظر إلى وضوء كل منهما ثم قال:

«بارك الله فيكما.. بل أنا الذى لا أحسن الوضوء»... ورجع الرجل وأعاد وضوءه من جديد مستفيداً من النصيحة الذكية التى قدمها الحسن والحسين...

ولذلك فالنصيحة يجب أن تقدم بذكاء وعرض جميل حتى يقبلها الناس.. وليست بالأمر المباشر أمام الآخرين حتى لا يحرج من تقدم له النصيحة.

* * *

الإحسان إلى الفقراء:

كان الأمام أبو حنيفة النعمان تاجرًا من كبار تجار الكوفة.... وَيُعَدُّ مثالاً طيباً للتاجر الصادق الأمين القانع، فكان الله يبارك له فى تجارته فيزيده ربحاً على ربح.. وهذا جزاء التاجر غير الجشع الذى يتغالى فى بيعه.

وذات يوم جاءته امرأة عجوز إلى دكانه تطلب ثوباً، وسألته عن ثمنه... فأراد الإمام أن يكرمها؛ لأنه أدرك أنها فقيرة متواضعة الحال... فعرض عليها أن تأخذ الثوب بلا ثمن، فرفضت المرأة وأصرت على دفع ثمنه.... فقال لها: بأربعة دراهم.

فقالت له المرأة: لا تَسْخَرْ منى، فثمن الثوب أكثر من ذلك بكثير.

فقال لها الإمام: أنا لا أسخر منكِ.... فقد اشتريت بالأمس ثوبين من نفس النوع فبعت أحدهما بالثمن كله إلا أربعة دراهم.... وهذه الدراهم الباقية هى ما أطلبه منكِ ثمناً للثوب الباقى....

فقبلت المرأة الثوب بحيلته الطيبة... وهكذا يجب أن نكون دائماً محبين لفقراء، فنحسن إليهم بطريقة لا تجرحهم أو تضايقهم.

* * *